بحوث

دور الرجل والمرأة في الأسرة المسلمة بالولايات المتحدة الأمريكية

د. محمود أبو السعود

لقد خطر بذهني هذا الموضوع عندما سمعت بعض المناقشات التي تدور حول مسألة « المساواة » بين الرجل والمرأة في الاسلام ، وعندما أبدى البعض رفضهم لمبدأ قبول الرجل كرأس الاسرة ۰ وفي معظم تلك المناقشات ، تمت الاشارة الى الكثير من المفاهيم الغربية باعتبارها غير قابلة للدحض من الناحية العلمية ، وتم تفسير الكثير من الآيات القرآنية على نحو اعتباطي مع تجاهل الكثير من الاحاديث ووصفها بأنها غير موثوق بصحتها ، ولقد استطعت أن أدرك بوضوح الدوافع الكامنة وراء تلك المناقشات ، وكيف أن معظمها كان نتيجة للبنيان الاجتماعي الغربي الغير ثابت ، بالاضافة الى الايديولوجية الغير اسلامية المسيطرة على احكام الاشخاص في تلك المجتمعات ۰

واذا اردنا الحديث عن دور كل من الجنسين في الاسر المسلمة التي تعيش في الولايات المتحدة الامريكية ، فمن الواجب ان نعرف ما هي « الاسرة» ومنشؤها ووظيفتها والاسرة المسلمة كما هي في واقع الامر ، والمفهوم الاسلامي للاسرة ، وأخيرا دور كل من الزوج والزوجة في الحياة الاسرية ۰ وسوف يكون الجزء الاخير من تلك المعرفات محور دراستنا هذه ۰

١ ـ منشأ الأسـرة :

(أ) العامـل البيولوجي :

لقد قدم لنا العلماء الاجتماعيون تعريفات مختلفة لمؤسسة الاسرة التي نشير اليها فيما بعد ٠ ومع ذلك ـ وفي خط هذه المقالة ـ سوف تعتبـر أن الجماع البيولوجي الاساسي بين الذكر والانثى يعتبر عنصرا اساسي لتكوين الاسرة ، كما نجد ان الجنسية المثلية لم تخلقها الطبيعة ٠

١ ـ الخليـة :

تتكون جميع الكائنات الحية ـ من الناحية البيولوجية ـ من نوعين من الخلايا : الايوكاريوتس والبروكاريوتس *Eukaryotes & Prokaryotes* ويمثـل النـوع الاول تلـك الخـلايا التي تحتوي على نـواة وتتكاثر عـن طـريق الجمـاع والتـزاوج ٠ امـا النوع الثاني ، أي البروكاريوتس، فهـو يمثـل الخلايـا التي لا تحتـوي عـلى نـواة ، ومن ثم تعد احادية الخلية ،وتتكاثر عـن طريـق الانقسـام ٠ وتحتـوي كـل خليـة عـلى خصائصهـا الـوراثيـة ، وتحمـل معلومـاتها في المـادة الحمضية التي التي توجد في نواة الخلية : « ٠٠ في جديلتين طويلتين للغاية ، تلتف كـل منهما حول الاخرى في لولب مزدوج » (١) وانه لما يثير الاهتمام الشديـد أن نعرف أن الايوكاريوتس فقط هي « القادرة على تكوين الاجسام التي تمثل اعجوبة الخليقة ـ تلك الاجسام التي تحتوي على القلب ، والرئتين ، والكليتين والمخ » (٢) اما البروكاريوتس فتعد طفيلية بطبيعتها كما تعد عدوا قاتـلا للايوكاريوتس ياكلها عن آخرها أو يدمرها بواسطة انزيماته ، وأن الكائـن الحي (الانسان) ليس باكثر من مجموعة من الخلايا تعمل سويا ٠

---

(١) كادمور ٠ ل٠ ل لارسون ٠ « محور الحياة » ، شركة كتـاب النيويورك تيمـز ، (١٩٧٧) ص ٨ ٠

(٢) نفس المرجـع ٠ ص ٩ ٠

والجنس ، أي الكلمة التي تشير الى تبادل العناصر الوراثية ، يتطلب وجود كائنين حيين ، ويكون ايصالهما سويا من أجل التكاثر ٠ وبالرغم من أنه ثمة بعض الكائنات الحية التي تستطيع التكاثر بدون العمليات الجنسية مثل بعض أنواع البكيتريا ، فاننا نجد أن من المحتم على ذريتها مماثلة الاصل بدون أي اختلاف أو قابلية للتطور ، اذ التطور يحتاج الى خصائص وراثية مختلفة لا يمكن تحقيقها الا عن طريق الاتحادات المتجددة أبدا بين الخصائص المورثة للخلايا المتغايرة الجنس ـ أي الايوكاريوتس ٠

وقبل أن نتجه لاستكشاف وظائف الخلايا باعتبارها الشيء المكون للذكور والاناث من بني البشر ، فانه من الهام للغاية أن نعرف أن الخلايا ذاتها تعد من نتاج الذرات ، وان الذرات تتبع نمطا خالدا محددا للسلوك وكأنما لديها نوع من الادراك الذي يجمعها سويا بمثل ذلك الاسلوب المنظم ، وهي تقوم بتكوين الجزيئات بأشكال هندسية غريبة ، وتقوم الجزيئات بتكوين « الانسجة التي تصبح بمثابة الاعضاء التي تقوم ببناء الكائن الحي بشكل يتعذر تدميره ٠٠ وان لكل جزيء خصائصه المميزة الخاصة به وفقا للذرات التي يتكون منها ٠٠ وتحوز الحياة على خصائصها بمقتضى الجزيئات التي تدخل في بناء الكائنات الحية ٠ »(٣) وجميع الكائنات الحية بما في ذلك البكتيريا ـ يجب من أجل التكاثر أن تستخدم الحامض النووي المنظم في المورثات ، وتعد المورثات الحامل الحقيقي لجميع الصفات الوراثية والخصائص الخاصة بالذرية ٠

هذه المعلومات الاولية المقر بها تظهر لنا بعض الحقائق الاساسية في الحياة تعيننا في هذه الدراسة ٠ فالحقيقة الاولى هي أن البروكاريوتس اي الكائنات الحية احادية الخلية ـ تعد طفيلية ومدمرة ٠ وهي ليست قابلة للتطور ولا تكون أي جزء من أنظمتنا الوظيفية ٠

والشيء الثاني هو أن الايوكاريوتس لا تستطيع البقاء دون الزواج لانها تتكاثر عن طريق التزاوج ، ويعد اتحادها أساس الرقى الى الافضل من خلال عملية الاختيار الطبيعي ٠ فهي قد وهبت خاصية اختيار الاصلح من

(٣) نفس المرجع ص ٢٨ ٠

بينها ، ومن ثم تستطيع الرقى من الناحية الوراثية ٠

وشيء ثالث هو أن جميع الجزيئيات تنتمي في أصلها الاول الى الذرة ٠ التي لا تستطيع البقاء بدون الاتحاد بمقتضى طبيعتها ، وأن مكونات الذرة ، أي : البروتونات ، والنيوترونات ، والالكترونات هي الاخرى يتحتم عليها أن تتحـــد ٠

ومن ثم ، فان الزواج يعد قانون الوجود ، وهو بمثابة صفة متأصلــة في خلايانا وبنياننا لا نستطيع البقاء أو التطور بدونها ، وفـــي كل زواج للخلايا يجب أن يكون ثمة ذكر وأنثى ، أي الموجب الذي يقوم بالعطاء فـــي الجماع والسالب الذي يقوم بالاستقبال ، وفي عالم الخلايا ، الذي هو عالمنا ، يستمر كل شيء في الرقى في نظام شديد التدقيق ، فالنظام يؤدي الى تعييــن الخلية وتؤدي الخلية الى تعيين الحياة ٠ و « قبل أن تكون ثمة حياة ، يجب أن يكون ثمة نظام ٠٠ ويجب أن يكون ثمة تنظيم ٠٠ فان النظام هو الحياة ٠٠ أما الموت فهو اللا نظام » (٤) ٠

٢ ـ بيولوجيـا الانسان :

لقد تــم اكتشاف الكثير عن الخلية ، وتكوينها ، ووظيفتها ، وتكاثرها ، ولكنه لـم يستطيـــع أي شخص أن يعـــرف كيف نشأت الخلية الاولـــى ، فالايوكاريوتس ـ كما ذكرنا من قبل ـ تعد على مستوى عال من التنظيم وتعد بمثابة خلايا متخصصة للغاية تقوم ببناء اجسامنا ، بل في الحقيقة تبث فينا الحياة ، وتتكون كل خلية من عديد من الطبقات التي تكمن فوق طبقات مـــن الجزيئيات تنفصل بعضها عن البعض بواسطة الاغشية ، وفي وسطهــا تقــع النواة المحاطة بغشاء مزدوج ، وتحتوي النواة على المورثات ـ أي المقررات النهائية للخلية ـ التي تكون ملتفة في سلسلة أنابيب من الكروموسومات ٠

ويتكاثر البشر عن طريق الاتحاد بين خلية مذكرة وخلية مؤنثة ، تماما مثلما يتم تكاثر أي ذرية أخرى ، وعندما يتم الاخصاب (أي الاتحـــاد أو

(٤) نفس المرجـــع ، ص ٣٨ ٠

التزاوج) يتم تكوين خلية جديدة ، ويتم تقرير الجنس الى جانب التركيب البدني ، بما في ذلك المخ ، بواسطة المورثات التي تم اتحادها في الخلية الجديدة ، وكل من الذكور والاناث لديهم نفس أساس الكروموسومات (X)، ولكن منذ البداية الاولى ، اذا كان هذا الاساس مقترنا مع واحد او اكثر من كروموسومات (X) ، فان النتاج يكون انثى ٠ اما اذا اقترن الاساس مع واحد أو اكثر من كروموسومات (Y) ، يكون النتاج ذكرا ٠

وحين « تولد » الخلية الجديدة تبتدىء في العمل بأسلوب مستقل ، ويمنحها النشاط تلك القوة المتأصلة بها التي تقع تحت سيطرة المجموعة الجديدة من المورثات ، وتسمى في تلك المرحلة المبكرة بـ « اللاقحة » ، وبعد ذلك الاستهلال ، سرعان ما تقوم الاجنة الذكرة بافراز هرمون مسيطر يسمى بمنشط الذكورة ، في حين تقوم الاجنة المؤنثة بافراز هرمون مثير للدورة النزوية ، ثم تقوم فيما بعد بافراز هرمونات الانوثة ، وهي : الجسفرون والبرولاكتين ٠ونمو الجنين ، سواء كان ذكرا أم انثى يتبع نفس قوانين النمو : فيستمر تكاثر الخلايا المتخصصة في عملية بناء أعضائنا المختلفة ، دون أي انحراف الا بهدف الافرازات الهرمونية ، وعندما يحين وقت ولادة الطفل ، سواء كان ذكرا أم انثى ، فانه يكون قد تأثر بالفعل بواسطة تلك الهرمونات التي تتسم بأقصى درجة من الفعالية في تأثيراتها على عمل المخ ٠

ويعد المخ البشري واحدا من أعظم عجائب الخليقة ، وفي جزئه السفلي، ثمة منطقة صغيرة تسمى *Limbic system* تتكون من تركيبات تتصل بكل من العاطفة والدوافع البشرية ، احدى تلك التركيبات ، وتسمى اللوزة ، تعد واحدة من بين أجزاء المخ الرئيسية المسئولة عن تصرفاتنا ، لانها تؤثر على بعض الافرازات الباطنية ، خاصة تلك المتصلة بميولنا الجنسية ، وفوق ذلك ، « يقوم اللحاء المخي ايضا بتزويده (أي *Limbic system*) بدرجات مكثفة من النشاطات المخية ، بما في ذلك التصويرات المصنفة عن حالة العالم الخارجي ، وهو يقوم بتقييم نشاطات (الجهاز العلوي في المخ) ٠٠٠

(٥) سيمثيز ، ا ٠ ر٠ « ميكانيزم المخ والسلوك » ، مؤسسة الطباعة والنشر الاكاديمية نيويورك ، ١٩٧٠ ، ص ١٥٦ (التوكيد يرجع الى) ٠

ويوازن الاولويات الحالية بالنسبة للاحتياجات طويلة وقصيرة الامد للكائن الحي ويقوم باختيار وتقييم النشاطات ،المختلفة المتكاملة » ٠ (٥)

ومن المقــــرر أن التركيب المسمى « بالهايبوتلاموس » الخاص بـ *Limbic system* يتم تكوينه قبل الولادة ، ويتم دفعه بصفته الجنسية ، بشكل يتعذر محوه من خلال نشاط الهرمونات الجنسية ، ومن ثم يقرر بصفة دائمة ردود الفعل الفسيولوجية والسلوكية التي سوف يحوز عليها الحيوان اذا ما كان ذكرا أم انثى ٠ وفي معظم الحيوانات ، يعتقد أن المرحلة الخطيرة لنشاط الهرمونات تتم قبل الولادة ومن ثم فانها تعد شيئا غير قابل للتغيير ٠ » وان ذلك الادماغ الجنسي للجهاز العصبي الذي لا يمكن تغييره ٠٠٠ يحـوز على متضمنات بعيدة المدى للغاية بالنسبة للاختلافات الجنسية فـي السلوك البشري » (٦) ويعني ذلك انه منذ الايام المبكرة للحمل (أي تكون الخليـــة الجديدة المخصبة أو اللاقحة) يبتدىء المخ في تكوينها . وتنظيمها وتقريـر مسار عملها ، وعندما يولد الطفل فانه يحمل بداخله أسلوب الفكر ، والخيال ، والدوافع والتقييم الخاص به ، وحتى بين الافراد من نفس الجنس ، ثمـــة فروق وراثية ترجع الى الاختلاف في درجة تدفق الهرمونات الى المخ ٠ ويعد الكروموسوم Y مسئولا عن الهرمونات المذكرة منشطة الذكورة ، التي ترتبط بما يطلق عليه علماء النفس « النزعة العدوانية » ، ويعني ذلك نوع السلوك الذي يتسم عامة برد فعل مباشر وصريح ، وفطنة تنافسية ، وتقييم وادراك طويل الامد ٠ وتتضمن تلك الكلمة أيضا بعض النشاط العدواني النهائـــي الواقعي الذي لو لم يتم ضبطه تماما سوف يؤدي الى نتائج تدميرية ٠ ومما يعد حقيقة بيولوجية أن مثل تلك الهرمونات في الجنين المذكر تعتمد علـــى هرمون يسمى جونادال الذي ترجع اليه الاختلافات السلوكية بين الجنسيـن والذي من المعتقد أنه يؤثر على القرارات السلوكية التي يصدرها المخ ٠

أما في الانثى . فتعد الهرمونات الجنسية مسئولة عن الطمث الشهري الذي يتم تنظيمه مباشرة بواسطـة الهرمونات الانثوية الرئيسية ، وهـــي :

(٦) فيتــز . شيرلــي « الادوار الجنسية » نيويورك دار الطباعة والنشر لجامعـــة اكسفورد . ١٩٧٧ ص ٧

الهرمون المثير للدورة النزوية والجسفرون · وان اقلال افراز تلك الهرمونات يؤدي الى حدوث الطمث الشهري الذي غالبا ما تصاحبه حالة من القلق ، والكبت والافكار المكتئبة · ومن المعتقد أن الزاد الهرموني في تلك الحالة يؤثر على عمل مخ الانثى ، مؤديا الى كبت أو انعاش حالتها الانفعالية · ويؤكد علماء الأحياء حقيقة أن الميل الطبيعي لدى الانسان يتجه الى النظام الانثوي (×) الا اذا تم انتهاكه بواسطة كرومسوم مذكر Y مؤديا الى انتاج الهرمون المذكر : منشط الذكورة · (٧)

وتعتبر النزعة العدوانية ـ كما عرفناها من قبل ـ نتاجا لهرمون تستوستيرون ، ومنشط الذكورة ، ويكمن هذا الهرمون في الغدد الواقعة فوق الكلية في كلا الجنسين ، ولكن بالطبع في كميات مختلفة تماما · وترجع النزعة العدوانية لدى النساء ـ في الغالب ـ الى وجود جرعة متزايدة من هذا الهرمون ، الا اذا كانت المرأة تعاني من بعض الصدمات الاجتماعية · أما الرجل الذي يميل كثيرا للعدوان فيكون حافزه في ذلك أيضا هو جرعة متزايدة من منشط الذكورة · واذا تم اعطاء ذلك الرجل الهرمون المثير للدورة النزوية فانه سوف يهدأ في معظم الحالات ، ويتخذ سلوكا جديدا أكثر لينا · وبالنسبة للتحول من جنس الى آخر ، فان الشخص الذي يود أن يصبح انثى يحدث له ذلك عن طريق التدخل الجراحي والعلاج بواسطة الهرمونات الانثوية التي بدونها لا تستطيع الانوثة أن تسير في مجراها المعتاد · وفي مثل تلك الظروف تعد الهرمونات ضرورية لبناء الثديين ، وحث الرغبات الجنسية ، وازالة الشعر الغزير من الوجه والجسم ، الخ وحالما يتم اعطاء الانثى الجديدة مثل ذلك العلاج الهرموني ، فان تلك المنطقة الكامنة بالمخ (المسماة *Limbic system*) سوف تقوم بالعمل تبعا لذلك : فتصبح غريزة الامومة واضحة تماما ، وتصبح الرغبة في كثرة التحدث اكثر وضوحا ، وتحل العواطف الانثوية محل العقلانية ، وتقوم الغدد الدمعية بافراز دموع

---

(٧) موير ، ك · ا · « الاختلافات الجنسية بالنسبة للعدوان » تم اقتباسه في نسخ ر · س · فريدمان ، ور · م · ريتشارد ، ور · ل · فاند ويل « الاختلافات الجنسية في السلوك » ، وايل ، ١٩٧٤ ، ص ١٥٦ ·

أغزر في خلال التوتر العاطفي · ولعله ليس ثمة شيء أكثر اقناعا بالنسبة للانقسام الثنائي من الامومة · وقد كتبت فيتز قائلة : « ان الادلة التي نحوز عليها من عالم الحيوان تؤيد مفهوم غريزة الامومة ، فان الهرمونات الجنسية الانثوية مثل الهرمون المثير للدورة النزوية ، والجسفرون والبرولاكتين تبدو كأنها متضمنة في تطور السلوك الخاص بالامومة » (٨) وقد روت لنا نفس المؤلفة تجربة القردة – الام التي قتلت أطفالها المولودين حديثا عندما تم اعطاؤها منشط الذكورة ، والقرد الاب الذي عنى بالاطفال بعد اعطائه الهرمونات الأنثوية · ونحن لانجد الآباء في أي مكان يتخذون ذلك الدور الاساسي للعناية بالاطفال المولودين (٩) ·

وتولد الطفلة الانثى ولديها غريزة الامومة : فهي تشعر باهتمام قوي بالاطفال ، وذلك يفسر لنا لماذا تفضل الفتيات اللعب بالدمى · ومن المقرر أن الفتيات اللاتي تكون لديهن زيادة في منشط الذكورة قبل ولادتهن « يبدو انهن يظهرن اهتماما أقل بالاطفال عن الفتيات الطبيعيات » (١٠) ولكن بالطبع أكثر من الفتيان الطبيعيين · والسلوك الخاص بالامومة يتصف بالحنان ، والروابط الفعالة ، والحفاظ على الذات ، والحماية ، والتعيين الذاتي مع الطفل ·

وختاما لذلك ، نستطيع القول ان «السلوك الجنسي للفرد ، ومن ثم دوره من حيث الذكورة والانوثة ، لا يعد حياديا أو بدون توجيه أولى عند الميلاد · ولكن النزعة الجنسية تعد مجرد قدرة كامنة تقيم الحدود لنمط لديه قابلية كبيرة للتغيير عن طريق التجارب التي تؤدي الى ارتقاء وتطور الفرد » [١١] وفي

---

(٨) فيتز ، شيولى « الادوار الجنسية » نيويورك ، دار نشر جامعة اكسفورد ، ١٩٧٧ ، ص ٤٢ ·

(٩) لين ، د · ب · « الاب : دوره في تنشئة الطفل » ، بروكس كول ، مونتريي ، كاليفورنيا ، ١٩٧٤ ، ص ١٤ – ٢١ ·

(١٠) فيتز ، شيرلى . « الادوار الجنسية » ، نيويورك ، دار نشر جامعة اكسفورد ، ١٩٧٧ ، ص ٤٢ ·

(١١) ديا موند . م · أ · « تقييم انتقادي لتطور السلوك الجنسي لدى الانسان » ، استعراض فصلي في علم الاحياء · ٤٠ (١٩٦٥) ص ١٤٧ – ١٧٥ ·

عبارة أخرى ، فان التطور (اي تطور الكائن الفرد) يؤكد ان الانثى تولد ولديها غريزة الامومة وتكون لديها نزعة وراثية تختلف عن تلك النزعات الخاصة بالذكر · ومن الهام ان نلاحظ انه ثمة معاملة مختلفة للاطفال بواسطة الآباء طبقا لجنسهم · فتميل الامهات للتسامح مع الاولاد اكثر من البنات ، في حين يتسامح الآباء مع البنات اكثر من الاولاد · وتسود هذه الظاهرة بين بني الانسان وبعض الثدييات وتبدو واضحة بين القردة ·

(ب) عوامل التنشئة الاجتماعية :

« ان النظريات القديمة التي تلمح الى ان الرجال بمقتضى رغبة جماعية قد جعلوا النساء في مركز أدنى على مدى قرون ، ليست جديرة بنظرة جادة »(١٢)وليست ثمة شك في ان وظائفنا الفسيولوجية تتأثر بحالتنا النفسية والاجتماعية ، ولقد ساهم كل من علم الاحياء وعلم النفس ، والمجتمع في اقرار الادوار الجنسية السائدة بدرجاتها وحدودها المختلفة ، ومن المستحيل ان نفصل بين العامل البيولوجي والعامل الاجتماعي ، ولكننا يجب ان نضع في اعتبارنا بصفة جادة ان ثمة نزعة محددة في كل جنس تظهر في الجنين منذ بدء تكوينه ، وتستمر على مدى تطوره · وان مثل ذلك الاشراط الذي يحدث في الجنين ليس من الممكن ارجاعه الى اي عامل اجتماعي ، بل انه هو الذي يعد بمثابة السبب الاساسي للمعاملة الاجتماعية المختلفة للجنسين · وعندما يقدم الآباء دمية لابنتهم ، فانهم يكونون مدركين لشعورها الغريزي بالامومة ، ومن ثم يستجيبون لرغباتها الغريزية · ومن الممكن تسكين ، وتخفيف ، واعادة توجيه الحوافز الداخلية الغريزية ، ولكن من المستحيل الغاؤها او مسحها تماما ، وكبت تلك الحوافز الغريزية يسبب للفرد ضررا اكثر مما يسبب نفعا ، وتجاهلها يعني دفع الطفل الى الطريق الخاطىء الذي يحاول فيه اشباع الرغبات بأي وسيلة سواء كانت مشروعة ام غير مشروعة ،

(١٢) فيتز ، شيرلى ، « الادوار الجنسية » ، نيويورك ، دار نشر جامعة اكسفور ، ١٩٧٧ ، ص ٥١ ·

مقبولة اجتماعيا ام مرفوضة ٠

ان عوامل التنشئة الاجتماعيـــــة . اي الآباء ، والمدرسة ، والرفاق ، والرموز الاجتماعية للجنسين ، من المفترض . بل في الحقيقة يجب ان تكـون عوامل لانضباط السلوك الغريزي ، فمثلا يجب اشباع رغباتنـــــا الجنسية الاساسية عن طريق الزواج ، وليس عن طريق الزنا والفسوق ، ويجب الايفاء بحاجتنا الغريزية للأمن عن طريق العمل المشرف والكسب الشرعي وليس عن طريق السرقة والعنف ، وحتى غريزتنا الداخلية المغروسة فـــي الايوكاريوتس التي تحثنا على التطور الى الافضل يجب تشجيعها من خلال التعليم الملائـم الذي يبث الشعور باحترام الذات والابتهاج ٠ واذا فشل الفرد في تحقيق ذلك فانه سوف يلجأ الى ممارسات غير صحية لا تتوافق مع المجتمع حتى يشعـر بأهمية الأنا ، وقد تنمو لديه عادات سيئة مثل الكـــذب ، والتباهي ، بل حتى القتل ٠ واي انتهاك للغرائز يعد انتهاكا للقانون الطبيعي للحياة الذي يفضي الى الماسوشية ، والنرجسية ، والفصام وغير ذلك من الاضطرابات العقلية ٠

وللأسرة تأثير دائم على الأدوار الجنسية لان معظم تصرفات الشخص المستترة تتكون بصفة أساسية في السبعة أو الثمانية سنوات الاولى للطفولة ، ويتعلق الدور الاساسي للوالدين بالتعيين الذاتي للطفل ومن ثم يكـــــون من الواجب المراعاة الدقيقـــــة لكل من الروابط الفعالة ، وأسلوب التشكيـــل والتصنيف المعرفي ٠ وهنا نجد ان الموضوع الـــذي يثيره الليبراليون بصفة عامة هل يجب على الآباء أن يفرقوا في معاملتهم بين الذكور والاناث أم لا ؟ ويعتقد الكثيرون منهم أنه يجب أن لا يلتفتوا الى الجنس فيعاملون كل مـــن البنين والبنات وكأنهم من نفس الجنس ، وهم يدعون أن أي تفرقـــة في تلك المرحلة المبكرة تؤدي الى نوع من الشعور بالنقص لدى الفتاة والى تحيز الى جانب الفتى ٠ وثمة أدلة كافية في حياتنا اليومية تدعم تلك الادعاءات ، ولكن أي شخص ذا رؤية واضحة يستطيع أن يدرك بسهولة أنه ليست التفرقـــة في ذاتها التي تؤدي الى مثل ذلك الكبت في الفتاة ، لانه حتى في الأسر التيلديها بنات فقط وليس لديها بنين تتم معاملة البنات بنفس ذلك الاسلوب ، وكل طفل يختلف عن الآخر ومن ثم يجب أن تتم معاملته بأسلوب مختلف ، ولكن ما يؤلم

الطفل هو الاسلوب الذي يربط به الآباء تلك التفرقة مع جنس الطفل ، واذا تم اعطاء الفتاة دمية فذلك ليس لأنها أقل من الفتى الذي تم اعطاؤه حصانا أو مسدسا ٠ ان الفتيات تعانين من الكبت والشعور بالنقص فقط اذا عاملهن الأباء باعتبار انهم ذوات مرتبة أدنى ، أو اذا كانوا يشرحون تلك التفرقة في معاملتهم بأسلوب تمييزي ٠

أما العامل الهام الأخر للتنشئة الاجتماعية فيتمثل في المدرسة ،والاطفال في بيوت الحضانة ، والبنون والبنات في المراحل العليا تتم معاملتهم بأساليب مختلفة بكيفية أو أخرى طبقا لجنسهم ، وفي جميع صور الاطفال الصغار ، وفي جميع الكتب والمطبوعات ، يكون الآمر دائما « هو » و « هي » ٠ويتسم هو بالصلابة والجرأة والاتجاه للمظاهر الخارجية ، وبكيفية ما بالعدوانية ، أما هي ، فتتسم بالرقة ، والحنان ، وحب الاطفال ، والاتجاه للنواحي الروحية أو العقلية ، وبكيفية ما ، صيانة الذات ، ثم بعد ذلك ، نجد الاختلافات الواضحة في النشاطات الطلابية : فيتنافس الفتيان في الالعاب البدنية العنيفة الصعبة ، ويشاركون في المناقشات السياسية والاجتماعية ، ومن المتوقع ان يتفوقوا على البنات في العلوم القائمة على الملاحظة والاختبار ٠ ومن الناحية الاخرى ، تتمرن الفتيات على الرقص والغناء ، والالعاب الخفيفة الغير عنيفة ، والاعمال المنزلية ، ومن المتوقع أن يتفوقن على الفتيان في النواحي الفنية ٠

وهنا مرة أخرى نجد التفرقة واضحة بشكل يتعذر انكاره ، وفي حين انها تنسجم من حيث الجوهر مع بيولوجيا الانسان ، فان « الليبراليين » يدينون تلك التفرقة ودائما ما تتمثل حجتهم في : ان تلك المعاملة تؤدي الى تنمية الشعور بالنقص لدى الانثى ، فهي تشرب العقل الباطن للفتاة بوجهة نظر لاقناعها بالخطأ السائد ، أي بأفضلية الذكور ٠ ويعتقد « الليبراليون » أن الحفاظ على « الأدوار التقليدية للجنسين » في المدرسة يعطي الفتيان أفضلية على الفتيات : فيتم تصوير الفتى باعتباره البطل ، والحامي ، والقائد ، بل حتى السيد ! ! ! ولكن ذلك يبدو مبالغة تكمن جذورها في العاطفة الانثوية ، ففي كثير من الاحيان ، تتغلب « الطباع ـ الذليلة » على الحماس التحرري ويظهر ذلك في السلوك الغير منطقي المنحرف ٠

ان اكثر مؤيدي مبدأ التحررية اخلاصا لا يستطيع انكار أن الذكر قد خلق ولديه قوة عضلية أكثر ، وأنه من الناحية البيولوجية يعد أكثر «عدوانية» ويغلب على ذهنه الاتجاه للمظاهر الخارجية ، وأنه يعد أكثر تحررا من التأثيرات الفسيولوجية الدورية ، أما الانثى فقد خلقت بمميزات وخصائص مختلفة بمقتضى تكوينها تتمثل في غرائزها للأمومة ، وحنانها الانثوي ، واستعدادها الفسيولوجي المتقبل للانجاب ٠ وتلك الحقائق الواضحة يجب ـ على الاقل ـ أن تحثنا على قبول تلك الاختلافات التي تتأكد وترتبط بالصفات الطبيعية المميزة لكل جنس ، ومما يتبع ذلك انه يجب أن تكون ثمة تفرقة في جميع المدارس استجابة لتلك المتطلبات البيولوجية الاساسية المختلفة ٠

وما يسمى بتاثير جماعة الرفاق والرموز الخاصة بالادوار الجنسية تتماثل كلٌ مع الآخر الى حد كبير ، خاصة فيما بين الناضجين ٠ ونستطيع أن نرى النوادي الخاصة بكل من النساء والرجال ، والاختلافات في السلوك العام تجاه الجنسين ، والمعاملة التميزية لكل منهما في الكثير من المناسبات العامة والاجتماعية في جميع المجتمعات الحالية ، كما يجب ان نعترف أن بعض تلك التفرقة ترجع الى العوامل الاجتماعية و /أو التقاليد القديمة الموروثة ، ولا نستطيع أن ننكر انه ثمة اسبابا حقيقية لا يمكن دحضها لمثل تلك التفرقة ٠ وبالرغم من تساوي الفرص المتاحة لكلا الجنسين في التعليم والحياة العامة ، فان النساء تبدين نشاطا في المجالات التي لا تتطلب الكثير من « العدوانية » والتي يوجد فيها اتفاق بين الواقع البيولوجي والعمل الاجتماعي ٠ وفي مثل تلك النشاطات لا يوجد سبب لأن لا ينجح النساء بل حتى انهن يتفوقن على الرجال ٠

(ج) التنشئة الاجتماعية ازاء علـم الاحياء :

ثمة أدلة أنه عندما يتم تطبيق عوامل التنشئة الاجتماعية علـــى نطاق واسع في سن مبكرة فانها تؤثر علـــى الوظائف البيولوجية للطفل · وبذلك الاسلوب نستطيع أن نلاحظ الفتى « المخنث » · والفتاة التي « تميل الى العاب الفتيان » ، ونجد أيضا أن الافراط في افراز الهرمونات الأنثوية في أحد الذكور سوف يحدث نفس الاثر بصرف النظر عن أي مجهود من ناحيــــة التنشئة الاجتماعية يهدف الى العكس · وفي كلتا الحالتين يصبح الموقف غير صحي ويعاني الشخص من بعض الانحراف ، ومن الممكن أن يحدث لديـــه بعض التحول الجنسي · والاتجاه الصحيح يعتبر واضحا : اذ يجب أن نكيف عملية تنشئتنا الاجتماعية بذلك الأسلوب الذي يجعلها تتلاءم مع وظائفنا البيولوجية، فالصفات الخاصة بكل من الذكور والاناث المغروسة في تلك المنطقة من المخ (المسماة *Limbic system*) والتي لا يمكن محوها نتيجة للافرازات الهرمونية قبل الولادة يجب أن تكون الاساس لعمليـــة التنشئة الاجتماعية الخاصة بنا ، كما يجب أن يكون ثمة انسجام بين عملية الخلق (أي الحالــة الطبيعية) والنشاطات الانسانية الارادية ، فانه اذا ما فشل ذلك سوف يحدث اختلال خطير في التوازن يؤدي الى اهتزاز شخصية الفرد من جذورها ، ومن ثم ، فان مطالبة الليبراليين بالمعاملة المتماثلة لكل من الذكور والاناث فـــي جميع النواحي تنكر التكوين البيولوجي لكل مـــن الذهن والجسم البشري ، وتلغي كلا من الذكورة والانوثة الجنسية المثلية التي تحظى ببعض الاهمية في المجتمعات الصناعية الغربية في الوقت الحالي ، تعد نتاجا لأسلوب معوج من التفكير ومحكوم عليها بالفشل ، اذ تمثل ثورة ضد قانون الخليقة ولن يسمح لها أن تسود ، أيا كان الثمن الذي تدفعه البشرية لذلك ·

ويجب ان تتم تربية الانثى بأسلوب يجعلها فخورة بأنوثتها وغير خجولة منها ، كما يجب أن تتم معاملتها بأسلوب عادل ولكنه لا يجب الموازنة بينها وبين الذكر ، فهما مختلفان وليس من الممكن أبدا أن يكونا متساويين ، فلكل منهما مجال مقدور له في الحياة ·

٢ ـ بنيـان الاسرة ومهامها :

لقد رأينا أنه لا يوجد استمرار للحياة بدون الزواج ـ أي الاتحاد بين الذكر والانثى ـ وأن الحياة هي النظام ، وأن الموت هو الانتروبيا أو اللانظام وطبقا لما قال كادمور : « ان الحياة بصفة رئيسية هي مـــن أجل الانجاب والاحساس» (١٣)· وان تزاوج الخلايا الذي يؤدي إلى تكوين جسدنا ، ومخنا ، واعصابنا يعد بمثابة « قانون » منظم للغاية تتم ادارته بواسطة قوانين معقدة يتحكم فيها نظام صارم · ان البشر ليسو بأكثـــر من خلاياهم ، وان قانون النظام والتنظيم هو جوهر وجودهم ، وان أي انتهاك لذلك القانون يعد خطوة تجاه الانتروبيا أو تدمير الذات ·

ونحن في حياتنا نقوم بالانجاب ــ أي نقوم بالزواج ــ ، ويتعلم البشر المعيشة في ازواج مختلفة الجنس والانجاب فـــي اطار تنظيم اجتماعي معين يطلق عليه « المؤسسة الاسرية » ، وكلمة « اجتماعى » هنا ليست بدعة مـــن الانسان ، ولكنها ضرورة من الناحية البيولوجية بمعنى أن الخلية الواحـــدة في الانسان لا تستطيع أن تعزل نفسها عن الخلايا الاخرى المتماثلة ، وكلمـا اجتمعت مجموعة من الخلايـــا (آى ، اس) سويا ، تصبح ضرورة النظام والتنظيم بمثابة شيئا الزاميا ، ومن ثم فان هؤلاء الذين يعتقدون أنه يجب أن يكون ــ أو حتى من الممكن أن يكون ــ ثمة مجتمع للخلايا البشرية (آى ، أس) بدون قوانين تنظم العلاقات بين أفراده ، يطلبون المستحيل والمضاد للطبيعة ، فليس ثمة وجود لمثل تلك التنظيمات المشوشة بمقتضى الطبيعة ·

وان أوبارين ، وهو عالم بيولوجي روسي ، قد اثبت انـــه اذا اتيحت الفرصة لمجموعة من الجزيئيات (وهو يطلق عليها اسم جماعة) أن تقوم بالعمل فانها سوف تكون نظاما · وقد نظم هو تفاعلا كيميائيا في محلول كانت تلك المجموعة من الجزيئيات طافية به ،ووجد أنها قد كونت نظاما غير قابل للتفسير أو التنبؤ : فقد كانت الرؤوس للخارج والذيول للداخل · وقد كان ثمة اختلاف

---

(١٣) كادمور ، ل · ل لارسون « محور الحياة » ، شركة كتاب النيويورك تيمــز (١٩٧٧) ص ٨

محير بين درجة رد الفعل خارج وداخل الجماعة · وطبقا لأوبارين ، فان هذا الفارق يفسر تكون الخلايا · ١٤

واذا تحدثنا من ناحية علم الاجتماع ، يتم تعريف الاسرة باعتبار انها « ... نوع خاص من التركيب الذي يتصل افراده كل مع الاخر من خلال روابط الدم او العلاقات الزوجية ، وتعد تلك القرابة ذات طبيعة تستلزم وجود توقعات متبادلة يقضي بها الدين ، ويفرضها القانون ، ويدمجها الفرد في نفسه حتى تصبح بمثابة مبدا » ١٥ وهذا التعريف ياخذ في اعتباره الاتجاه العام لأي اسرة ووجهة النظر الاسلامية · ولقد حدد الدكتور عبد العاطي اهداف الزواج طبقا لذلك فيما يلي :

- وسيلة للاشباع العاطفي
- وسيلة للحد من التوتر
- وسيلة للانجاب الشرعي
- تعيين الوضع الاجتماعي
- اسلوب للاتحاد الاسري والتضامن الجماعي ، وفوق كل شيء ، عمل من اعمال التقوى · ١٦

ان كل من التعريفات والاهداف السابق ذكرها مفصل تماما ويتضمن الكثير من الآراء بالنسبة لمهام الاسرة ، ومع ذلك فانه ثمة علاقة معقدة من العلة والمعلول بين الاسرة والمجتمع ·

والثقافة الخاصة بأي مجتمع تتضمن الكثير من التقاليد الراسخة في اذهان الافراد والتي يسلمها كل جيل الى الاخر ، ونظرا لأن الانسان يعد متحفظا بغريزته ، فهو لا يحاول تغيير تلك التقاليد الا تحت ضغط هائل من متطلبات التطور · وتلعب تلك المعركة الابدية بين الغريزتين – اي التحفظ

(١٤) كادمور ، ل · ل · لارسون ، محور الحياة ، شركة كتاب النيويورك تيمز ، (١٩٧٧) ، ص ٣٩ ·

(١٥) عبد العاطي حمودة « بنيان الاسرة في الاسلام » ، انديانا ، منشورات الاميركان تروست ، ١٩٧٧ ، ص ١٩ ·

(١٦) نفس المرجع ص ٥٤ – ٥٥ ·

والتطور دورا هاما في تحديد مهام الاسرة فـــــــي كل مجتمع ، وتتسم كلا الغريزتين بالديناميكية ، ويجب الحفاظ على التوازن بينهما من اجل أن يتطور اي مجتمع بأسلوب يتسم بالتعقل ، فالتقاليد تعد جزءا من الايديولوجية التــي يقر بها الناس ، في حين أن التطور يمثل العنصر الفعال الذي يحث الوضــع الحالي على التقدم ، ومن ثم يكون جزءا آخر من الايديولوجيــــة ووسط تلك العملية المستمرة توجد الاسرة التي تجد نفسها محصورة بين الاثنين ، وتكون مهمة الأسرة هي الحفاظ على أفضل الاشياء واكثرها ملاءمة في التقاليد ، واعتناق وممارسة أفضل الاشياء واكثرها ملاءمة في التطور٠ومن أجل تطبيق كل من الفلسفة ، والمهام والتعريفات السابقة على الاسرة المسلمة في الولايات المتحدة ، سوف نجد انفسنا في مواجهة عدد من المشاكل المتنوعة والمتداخلة ، اذ ان الاسلام يعد متكاملا ومن المفترض ان يعتنقه المسلمون بكليته ٠

« افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ٠٠ » ١٧

وطبقا لذلك ، يطالب المسلمون بتطبيق القوانين الاسلامية المتعلقة بجميع الامور الزوجية ، ولكنهم بمقتضى اقامتهم في دولة غير مسلمة لا تتبع الشريعة الاسلامية ، فانهم بالضرورة سوف يواجهون الكثير مـــن المواقف المتضاربة المعقدة ، وتتفاقم مثل تلك المواقف بسبب الافتقـــار الى المجتمعات المسلمة المتماسكة والافتقار الى اي نظام اسلامي يستطيع المساعدة في حل مشاكلهم ٠

ولنبتدىء بمشكلة عقد الزواج ٠ فالمسلمون الذين يعتزمون الاقامة هنا لفترة طويلة من الزمان أو الى الابد يكونـــون ملزمين بتسجيل زواجهم طبقا لقوانين الولاية التي يتم زواجهم بها ، وحين يتم ذلـــك ، يتم تعريف حقوق والتزامات كل من الزوجين بمقتضى شروط تلـــك القوانين وليس بمقتضى الوصايا الاسلامية ، وينطبق ذلك في الحقيقة على جميـــع القضايا اللاحقة المتعلقة بالاسرة ، فان الالتزام المالي للزوج تجاه زوجته وبيته ، وواجبات الزوجة تجاه زوجها وبيتها ، والقنون الاجتماعي الذي يجب أن تتم مراعاته

(١٧) القرآن (٢ : ٨٥) ٠

بواسطة الاثنين ـ تصبح جميعها بمثابـــة قضايا خاضعة للسلطة التشريعية الامريكية · وفي حالة الطلاق ، سوف يكون الامر مرة أخرى خاضعا لقانون الولاية الذي يقضي بالحكم في الانفصال النهائي بصرف النظر عن الوصايا الاسلامية ·

ثمة مسألة أخرى هامة تؤثر على الاسرة المسلمة في الولايات المتحدة ، وهي الحالة الاقتصادية ، ففي كثير من الاحيان يضطر كلا الزوجين الى العمل للحصول على دخل اكبر وادخار شيء يكون ضمانا للمستقبل ، وهذا المظهر الاقتصادي عادي للغاية بالنسبة لمعظم العائلات الامريكية ، وهم يقبلونه كشيء مسلم به ، بكل من آثاره الحسنة والسيئة ، ولا يكون مشكلة رئيسية بالنسبة لهم لانه يتفق مع حضارتهم وأيديولوجيتهم المادية : لقد كون الغربيون فلسفة معينة في الحياة بالنسبة لوضع النساء نتيجـــة لتراثهم الماضي ومجتمعاتهم الصناعية الحالية ، ومما هو معلوم أن اليونانيين كانوا يعاملـــــون النساء وكأنهم سلعة من الممكن بيعها وشرائهـــا ، وكان الرومانيون يعتبرون النساء ملكية للأب و / أو الزوج حتى عهد جستنيان (في القرن الخامس) عندما تم الاعتراف بنوع من الهوية الذاتية للنساء بصفة قانونية ، أما اليهودية فتنظر الى النساء نظرة مزدرية وكأنهن لعنة أسوأ من الموت وتعتبرهن بمثابة شيىء سيىء بالضرورة ، ولقد تغيرت آراء المسيحية بالنسبة للنساء ، فبعد أن كانت تنظر اليهن على أنهن كائنات حية بدون روح ، أصبحت تعتبرهن بشرا بـدون هوية ، والقانون البريطاني حتى عام ١٨٠١ قد سمح للزوج أن يبيع زوجته ، وقائمة الاساءة الى النساء على مدى التاريخ في الغـــرب تعد طويلة للغاية حتى أننا لا نستطيع احصاءها في هذه المقالة ·

ومنذ وقت قريب للغـاية وافقت المجتمعـات الغير مسلمـة عـلى منـح النساء وضعا مستقلا بعض الشيء ، وحتى في يومنا هـــذا ، فان الزوجة الامريكية المعروفة بتحررها لا تستطيع شراء ملكية بدون موافقة زوجها ، ولا يسمح لها أيضا الاستمرار باسم أسرتها بـــدون أن تضيف اسم زوجها · ١٨ وفي سويسرا ، لا تستطيع المرأة أن تدخل أي معاملة تجاريـــة تعاقدية بدون

(١٨) مؤخرا · سمحت القليل من الولايات للنساء المتزوجات باستخدام أسماء أسرهن ·

موافقة كتابية من زوجها ، واذا كسبت مالا من عملها ، فان الزوج يكون مخولا نصف دخلها بصفة قانونية · وفي جميع انحاء العالم الغربي ، يستطيع الزوج أن يحرم زوجته من الميراث بعد وفاته ·

ومن ثم ، فانه ليس من الغريب أن نسمع النساء يطالبن « بالمساواة » مع الرجال والمعاملة المنصفة والحضارة الحالية ، التي سيطر عليها تاثير العامل الاقتصادي أو المادي قد أضفت على « العدالة » و « المساواة » و « التحرر » مضمونا ماديا وقيمة مالية · وفي هذا العصر الصناعي الذي تتمثل فيه القوة في المال ، وتعد الثروة شيئا حميدا والفقر شيئا سيئا ، « ويأكل الكلب أخاه »، وحينما تكون تلك هي المبادىء المقبولة بالنسبة لعلاقات الافراد ، وتصبح القيم الاخلاقية شيئا ألقى به في سلة المهملات ، فان النساء يكافحن من أجل الاستقلال الاقتصادي باعتباره الاساس لمطالبتهن بحقوق انسانية متساوية ·

ومن اجل تحقيق تلك الغاية ،فانهن لا تمانعن في المتاجرة بانوثتهن وفقدان عفتهن ، وتدمير أسرهن واضطراب عواطفهن ، وهذا التطلع الى « الحرية » قد دفع المرأة الغربية الى موقف خطير ، فقد دفعتها رغبتها في الاستقلال الى المنافسة و « العدوانية » ، وعزلها كبرياؤها عن المجتمع المتعاطف · وفي عزلتها تلك ، قد قبلت مبدأ الاباحية ، ونما لديها شعور بالمرارة والحقد في اطار معركتها من اجل البقاء · وفي وسط ذلك الانشغال الدنيوي ، فانها قد كبحت قيمها الروحية ووطأت فوق غرائزها الامومية ·

ولقد مر المفهوم الامريكي للاسرة والزواج بتغيير جذري في العقود القليلة الماضية · وفي الاصل ، طبقا لتعبير ادوارد وسترماك ، « تتأصل جذور الزواج في الاسرة ، وليست الاسرة في الزواج · » ولقد كانت الاسرة بدورها تعد الاساس للمجتمع· ومن ثم فان تنظيمجميع العلاقات الأسرية كان يعتبر ضرورة يستدعيها مطلبان أساسيان وهما : الانجاب البشري الصحي ، والحفاظ على المجتمع · ولكن الحضارة الصناعية الحديثة قد أدت الى الاخلال بالمعيار الماضي للحياة الاسرية ، وغيرت اهداف الزواج الى حد كبير · فقد تمت اتاحة فرص جديدة للكسب المادي للنساء المتزوجات وغير المتزوجات جعلتهن مستقلات اقتصاديا عن ازواجهن أو من يعولونهن من

الذكور ، وتبعا لذلك ، أعلنت حركة تحرر النساء انه لم يعد ثمة سبب اخر لتحمل الخضوع للرجال ، وشجعت تلك الاتجاهات الغربية التي تتعارض مع مهام الاسرة والادوار التقليدية للجنسين ، « ولقد ترتب على تلك الحرية التي حظيت بها المرأة حديثا ان ازدادت الفرص الجنسية خارج اطار الزواج الى حد كبير ، وقد ساعد في ذلك كل من وسائل منع الحمل والاجهاض ٠ » ١٩

ولقد اصبح الهدف الرئيسي من الزواج هو اشباع رغبات الزوجين ، أو طبقا لليبراليين ، تحقيق الفرد لذاته وتأكيده لشخصيته ٠ ولقد أصبح ذلك المفهوم الجديد معادلا لاشباع « كل من الزوجين لاحتياج الآخر من السعادة الشخصية » و « تكوين العلاقة بين الرجل والمرأة » ٠ وطبقا لليبراليين ، فان ذلك سوف يؤدي الى منح المرأة مركزا متساويا مع الزوج بدون تفرقة أو تمييز ، ومن ثم كان يجب ظهور مفهوم جديد للزواج الذي تأصل جذوره في الاسرة ، وثمة أربعة بدائل يتم ممارستها في المجتمعات الحديثة :

١ ـ الزواج الأحادي المسلسل ،الذي تتم فيه سلسلة من الزيجات واحدة تلو الاخرى ،تلك هي الممارسة السائدة في الولايات المتحدة في الوقت الحالي، ويتم حدوث الطلاق في ٤٠٪ من الزيجات ويتم اعادة زواج ٧٥٪ من المطلقات وهناك بعض من ذوي النزعة العصرية الذين يقترحون « تجنب الطلاق عن طريق المطالبة بتجديد أو الغاء جميع عقود الزواج على فترات متقطعة تفصل بين كل منها فترة ثلاثة سنوات » ٢٠

٢ ـ الزواج المفتوح ، الذي يتم فيه الغاء الحقوق المعينة بالنسبة للزوج والزوجة (سواء كانت جنسية أو غيرها) ، وهؤلاء الذين يؤيدون هذا النوع من الزواج يمارسون عملية « تبادل الزوجة » أو « تناقلها » ،وهم يدعون ان التجارب الخارجة عن الزواج سوف تؤدي الى الحد من الغيرة ، وتخفيف التوتر والحد من ضغوط الصراعات الشخصية ٠

---

(١٩) الحياة والموت ، حرر بواسطة ر ٠ هـ ٠ وليامز « الزواج : من أين والى أين » دافيد ر ٠ ماس ، ص ٢٩٨ (سبرنجر ـ فرلاد . نيويورك . ١٩٧٣) ٠

(٢٠) نفس المرجع ، ص ٢٩٩ ٠

٣ ـ تعدد الزوجات والزواج الجماعي ، الذي تختلط فيـــه جماعة من الازواج والزوجات واطفالهم سويا بدون قيد أو كابح ، وللادعاء هنا أن تعدد الآباء بالنسبة للبالغين والاطفال سوف يقدم عددا أوسع من التجارب المتفاعلة للايفاء بحاجات الافراد ٠

٤ ـ الجنسية المثلية ، اي عندما « تتزوج » النساء نساء « ويتزوج » الرجال رجالا ، والتخلص من الصراع المعتاد الذي يكون محتما في كل زواج سوي جديد ٠

وليس من الممكن ان تنجح مثل تلك الاتجاهات في تكوين أسرة سعيدة لأنها تتجاهل العناصر البيولوجية والروحية ٠ فالبشر لا يستطيعون البقاء بدون مجتمع ولا يستطيع المجتمع البقاء بدون الاسرة ، وباعتبارنا كأفراد ، فان الحياة هي الحب والحب هو الحياة » طبقا لتعبيـــر هافلوك اليس ٠ ان الزواج الآحادي المسلسل ، والزواج المفتوح ، والزواج الجماعي والجنسية المثلية تفتقر جميعا الى العناصر الاساسية اللازمة لتكوين الاسرة ، اذ ان الانسان هو النوع الوحيد الذي تحتاج فيه الذرية الى عناية الآباء وامدادهم لهم بالغذاء لفترة طويلة نسبيا بعد الميلاد ليس فقط من الناحية الجسدية ولكن من الناحية العاطفية أيضا ٠ والمحاولات الجديدة عديمة الجدوى التي ينعكس اثرها في الحياة الشاذة للاسرة الحديثة لا تؤدي الى ربط الرجل والمرأة برباط يتمتع فيه كلاهما بالامن المادي والعاطفـــي ، والاستقرار والرضاء ، وهي لا تشفى القلق الناجم عن الحضارة التكنولوجيـــة السائدة مثل : العزلة ، والوحدة ، والفوضوية ، والافتقار الـــى الحب ، والقلق ٠ « ولنبحث عن أي انسان طبيعي ، وسرعان ما نجد دليلا على توقه الشديد لتكـــوين الصلات الحميمة والمودة والحياة المشتركة باعتبارها المصادر الوحيدة التـــي يمكن الاعتماد عليها من أجل تحقيق الشعور بالاحتـــرام الذاتي والقيمــــة الشخصية ٠ » (٢١)

ان حركة تحرير المرأة في هذه الدولة تعد ثورة ضد المعاملة الغير عادلة لأمد طويل ، وضد النظام القانوني المتميز الغير عادل ، والاستغلال الاقتصادي

(٢١) نفس المرجـــع . ص ٣٠٤ ٠

المستبد . ولقد ذهبت النساء الى مدى متطرف في ثورتهن تلك نتيجة لعدم وجود أي ارشاد ديني أو أخلاقي فعال ، فجلبن على انفسهن رذائل « الدعارة والزنا المتمدينين » .

تلك هي الظروف الحضارية التي تعيش فيها العائلة المسلمة في هذه البلدة ، وخطأ هائل أن نفترض أن المسلمين لا يتأثرون بأسلوب الحياة الامريكي ، والقيم المادية الامريكية ، والقوانين الامريكية ، ومن ثم تبتدىء المشاكل المعقدة للأسر المسلمة في الظهور ، واذا أضفنا الى تلك الاشياء الشاذة السابق ذكرها المشاكل النابعة من النظم التعليمية ونتائجها الغير مباشرة على الشباب والبالغين ، فاننا سوف نفهم البعد الواسع لذلك المأزق الذي نستطيع أن نقدمه لذلك التشوش هو الزوجة المسلمة الحائزة على تعليم عال والتي تعتقد أنه مما يعد حقا مشروعا لها أن تدعو أي صديق من الجنس الاخر الى منزلها ، حتى في غياب زوجها ، وأن تقبل الدعوة الى مدينة أخرى او دولة أخرى بدون اذنه ، أو أن تستطيع اختيار عملها في حي غير ذلك الذي يعيش به . وليس من النادر أن نجد امرأة مسلمة تعتقد أن لها الحق في العمل نظرا لانها قد أمضت سنوات طويلة لتهيئة نفسها لمهنة معينة وفي معظم الحالات ، تكون رغبتها في الحصول على الكسب المادي هي الحافز ، خاصة عندما يكون في استطاعتها أن تحقق ذاتها بعض الشيىء في خارج اطار النشاطات الاجتماعية للحياة المهنية . مثل تلك الزوجات تتأثرن للغاية بالعقلية الامريكية المادية وسوف تطالبن بحقهن في أفضل الاشياء في كلتا الناحيتين ، أي : الحفاظ على وظيفتها والمطالبة بحقها « الاسلامي » في قيام زوجها باعالتها .

ان مشكلة الاطفال المولودين في الاسر المسلمة تعد معروفة للجميع وقد تم تناولها بالمناقشة من علماء الاجتماع والمفكرين المسلمين في العديد من المؤتمرات والندوات ، وتدور المناقشات حول تلك الحقيقة القائمة القائلة أن البيئة والثقافة الامريكية تؤثر على عقلية الطفل المسلم ومجموعة المبادىء التي تكون قيمة الاخلاقية ، وفي حالة عمل كل من الأم والاب ، فان الطفل لا يحصل على رعاية كافية وتوجيه أبوي لحمايته ضد الممارسات المتعارضة مع الاسلام .

وثمة تهديد أخطر من ذلك وهو فقدان الطفل لهويته الاسلامية وانتسابه الى المجتمع المسلم · ولكن مشاكل هؤلاء الاطفال تنبع بصفة رئيسية من المشاكل الاساسية الخاصة بالاسرة التي ، اذا تم حلها ، سوف تجلب الشعور بالراحة وتوجد بطريقة آلية (أتوماتيكية) حلا لمحنة الاطفال ·

٣ ـ الحل الاسلامي :

(أ) البيولوجيا والتنشة الاجتماعية :

ليس ثمة شيىء يتلائم مع طبيعة الانسان أكثر من التعاليم والوصايا الاسلامية ، خاصة فيما يتصل بنظرتها الى الشخص باعتباره مخلوقا معرضا للخطأ ، وخاضعا للمحاولة والخطأ ولديه استعدادا للتصحيح والرقي ·

« لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت »(٢٢)

ونظرا لأننا نعنى هنا بالاسرة المسلمة ، فمن الطبيعي أن أيا من الحلول التي يمكننا اقتراحها يجب أن تكون على توافق مع الاسلام ، ، ولحسن الحظ أن الاسلام يأخذ الطبيعة البشرية في اعتباره عند اتخاذه القرارات بالنسبة لجميع القضايا فينصحنا بالالتزام بقوانين الخليقة الخالدة · لقد كشفت العلوم التجريبية عن الكثير من الحقائق المتعلقة ببنياننا البيولوجي ووظائفنا البدنية ، ولكنه لا زال هناك الكثير من أسرار الحياة تنتظر الكشف عنها ، وليس ثمة حقيقة علمية واحدة تعد متعارضة مع أي من الوصايا الاسلامية ، ولكن ثمة الكثير من الافتراضات ، والافكار والنظريات التي قد تكون غير متوافقة مع التعليمات الاسلامية · وبمقتضى تلك الاحوال الغير ثابتة ، فمن المفروض على المسلم ان يتبع القواعد الاسلامية بصرف النظر عن وجهات النظر « العلمية » الملتبسة ورغباته الشخصية ·

وبالنسبة للتقاليد والحضارات التي تؤثر على تنشئتنا الاجتماعية ، يجب ان نضع في اذهاننا أنها نتاج لبعض المثل العليا والافكار السائدة في فترة معينة في مجتمع معين ، وذلك عنصر هام للغاية في الاعراض المتزامنة

---

(٢٢) القرآن ، ٢ ٢٨٦ ·

الاسلامية لحلول المشاكل الاجتماعية · الاسلام فلسفة تعرف هدف الحياة البشرية ، والعلاقة بين الانسان ، والطبيعة والخالق ، انه مذهب يضع الخطوط العريضة للنظم الاجتماعية ، والسياسية ، والاقتصادية والجمالية التي يجب تطبيقها في معاملاتنا واتصالاتنا اليومية ، ومثل تلك التعريفات الفلسفية والتصويرات المذهبية يتم قصرها على الحقائق الاساسية التي لا تتطور أو تتغير طبقا للتطور المستمر للجنس البشري ، فان تلك الحقائق تعد مطلقة وليست خاضعة للتغيير ، والا فانها لا تكون حقائق ولا تكون مطلقة ·

وحيثما الحلول التي نجدها في الاسلام ، فهي تقوم على أساس تلك الحقائق المطلقة سواء كانت معروفة لعلمائنا المعاصرين او مجهولة لديهم · ومفهوم الاسرة بأكمله وأدوار افرادها يعد جزءا من المفهوم العام للمجتمع الاسلامي · ولنضع في اذهاننا أن الزواج يتم بمقتضى حاجاتنا البيولوجية وهو جزء من المجتمع البشري الذي لا يمكن الاستغناء عنه وليس مجرد مسألة اختيار شخصي ·

« ومن كل شيء خلقنا زوجين · » (٢٣)

ان كلمة « زوج » تستخدم في القرآن فتعني زوجا أو اليفا ، وكلا الكلمتين تشيران الى الزواج · « وانزلنا من السماء ماء فانبتنا فيها من كل زوج كريم · » ٢٤ ويخبرنا القرآن انه سوف يكون لدينا أزواج حتى في الجنة ٢٥ لقد خلق الله البشر من نفس واحدة ، التي من الممكن ان تعتبر بمثابة الخلية الاولى ، ومن تلك النفس خلق الذكر والانثى ، على أن قصة خلق حواء (أول انثى) من ضلع آدم (أول ذكر) لم يرد ذكرها في القرآن ·

« ومن آياته أن خلق لكم من انفسكم أزواجا لتسكنوا اليها » ٢٦

« يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالا كثيرا ونساء » ٢٧

---

(٢٣) القرآن ٥١ : ٤٩ ·
(٢٤) القرآن ٣١ : ١٠ ، ٥٠ : ٧ ، ٢٦ : ٧ ·
(٢٥) القرآن ٢ : ٢٥ ، ٤ : ٥٧ ·
(٢٦) القرآن ٣٠ : ٢١ ·
(٢٧) القرآن ٤ : ١ ·

ولقد أمرنا النبي أن نتزوج في أقرب فرصة تتاح لنا . فان الاسرة هي نواة المجتمع الاسلامي ، ويعد الزواج الاسلوب الوحيـــد لتحقيق مثل تلك المؤسسة ويتم ادانة وتحريم العلاقات الخارجة عن اطار الزوج ·

« ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا » ٢٨

ومما يتفق مع المنطق أن الاسلام يضع القواعد لتنظيم مجـــرى عمل الاسرة التي يستطيع بمقتضاها كل من الزوجين أن يجد السلام ، والحـــب والامن ، والصلات الحميمة، وتلـــك العناصر ضرورة من اجل تحقيق أعظم هدف للزواج : وهو عبادة الله · ولا نعنى بالعبادة مجـــرد أداء الطقوس ، ولكنها بالضرورة تتضمن الاستقامة في جميع السلوك والمعاملات ، وكل فعل حميد ، وكل خدمة للبشرية ، وكل مجهود مفيد مثمر ، بل حتى كل كلمة طيبة تعد من العبادة الحقيقية من المسلم لربه · واذا راعى كل من الزوج والزوجة ذلك الهدف الاساسي ، ذلك الهدف الرئيسي لزواجهمـــا ، فانهما بالضرورة سوف يتعلمان كيف يتعاونان سويا من أجل تحقيق ذلـــك الهدف الاسمى ، وسوف يتعلمان كيفية التسامح بعضهما مع البعض ، وكيفية حب الله فـــي انفسهم وفي المخلوقات الاخرى ، وكيفية التغلب على صعوباتها ونقائصهما ·

أما الهدف الثاني من الزواج، فهو الاستجابة للغريزة الطبيعية الاساسية للانجاب · فالاطفال تحقيق للأمومة والابوة · ويعنـــى الاسلام بصفة خاصة بتوفير أكبر جو صحي ممكن لتربية الاطفال ، والآباء ذاتهم ، والطفل المحروم من الحب الكافي من والديه ، والذي لا يتم تعليمه فـــي سن مبكرة ، ويترك للمربيات وبيوت الحضانة سوف تنمو لديه الكثير مـــن الانماط السلوكية العدائية للمجتمع ، وقد ينتهي بالجريمة ، والانحراف والفساد · ومثل ذلك الطفل قد لا يجد ذاته أبدا كما يكون الامر لو انه نشأ في حياة منتظمة فـــي طفولته · وبدون الحياة الاسرية التي يسودها النظام الاسلامي ، كيف نتوقع من الطفل أن يحوز على الوعي الاسلامي والقيمة الاسلامية التـــي تقضى بالاستقامة ، لقد اقر الاسلام حقوقا والتزامات واضحة بالنسبة لكل من الآباء

---

(٢٨) القـرآن ١٧ ٣٠

والابناء · فالآباء مسؤولون قانونيا عن تعليم أبنائهم واعالتهم، والابناءبدورهم مسؤولونقانونيا عن ايواء آبائهم واعالتهم اذا اقتضى الامر نظرا لكبر سنهم، وكل من الآباء والابناء يرث الاخر طبقا لقانون مفروض ودقيق خاص بالارث جاء تفصيله في القرآن · ولا يستطيع أي منهم أن يحرم الاخر من نصيبه في الميراث ·

وهذا كله مجرد جزء من القانون الاسري الطويل في الاسلام · ولكن ما نعنى به هنا هو علاقة الزوج والزوجة ـ وأدوارهم الجنسية ـ في اطار المفهوم الاسلامي :

« ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة أن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون »(٢٩) وبالرغم من أهمية تلك القيم الاخلاقية مثل : الطمأنينة ، والسلام ، والحب ، والرحمة ، فان الاسلام لم يتوقف عند ذلك ، بل انــــه دعم مفهومه الاصلي للأسرة عن طريق تعريفه دورى كل من الرجل والمراة بمثل ذلك الاسلوب الذي يعمل بمقتضاه كل منهما طبقا لميزاته البيولوجية · فان الرجل « بنزعته العدوانية » يحمل مسؤوليـــة ما يسمى بالمهام المفيدة مثل : الاعالة ، والحماية ، ومعالجة الشؤون الدنيوية، واتخاذ مركز القيادة في الاسرة · أما المراة فلديها مسؤولية رعايـــة الاطفال وتربيتهم ، وتنظيم المنزل ، وخلق الجو المملؤ بالحب · ولنكن واضحين مـــن البداية أن الزوجة في المجتمع الاسلامي ليس من المتوقع أن ترغم على العمــل من أجل الكسب المادي ، وحتى المراة الغير متزوجة ، والمطلقة ، والارملة ، فان القانون يضمن لها دخلا يعاونها في تحقيق حياة مريحة · ان العمل او التجارة لم يتم تحريمهما على النساء ، ولكنه ليس من الموصى بـــه أن يباشرن تلك النشاطات الا اذا كان ثمة تبرير لذلك ، وهذا ليس بمثابـــــة تحيز لحقوق أزواجهن · وحالما تتزوج المراة ، فهي تقبل القانون الاسلامي بالنسبة لمهـــام الاسرة ، ويصبح دورها بصفة رئيسية متمثلا في توفيـــــر السعادة المنزلية والعناية بالشئون الداخلية للأسرة · واذا ما رغبت في العمل ، يجب ان تطلب الموافقة الصريحة من زوجها ، ولكنها اذا كانت لديها ممتلكات او ثروة خاصة

---

(٢٩) القـرآن ٣٠ : ٢١ ·

بها ، ورغبت في تشغيل أو استثمار تلك الثروة ، فان لديها الحق أن تفعل ذلك بدون اذن زوجها ، ولكن بشرط أن لا يؤثر ذلك على التزاماتها الزوجية ٠

(ب) الاسرة الاسلاميـة :

في الاسلام ـ كما في علم الاحياء ـ ليس ثمة أسرة بدون زواج ، وليس ثمة زواج بدون قواعد ونظام ، الاسرة في الاسلام وحدة يتحد فيها شخصان مستقلان ويشتركان سويا في الحياة ٠ وان كرامة الزوج تعد جزءا متصلا من كرامة زوجته ٠ وطبقا لذلك ، فانه ليس ثمة أحد منهما أفضل من الاخـر ٠ ومن اجل الاتحاد والمشاركة ، يجب أن يكون ثمة حب وعاطفة مشتركة ـ ذلك الشعور الحقيقي الذي لو لم تتم ترجمته الى عمل وسلوك يكون مجـــرد وهم وعاطفة لا جدوى منها ٠ ونحن لا نستطيع أن نقبل ادعاء الحب من الزوج أو الزوجة الذي لا يعنى بشريكته أو شريكها المريض أو الذي لا يشارك فـــي مسئوليات الاسرة ، وهذا الاساس الرئيسي ، اذا فهمناه ولاحظناه جيـــدا ، يعد بمثابة الولاء الاول من كلا الزوجين لأسرتهما وهو جزء من عبادة اللـــه ويعد الهدف الاول من الزواج ويتضمن ذلك أن يتصرفا وكانهما شخص واحد في جسدين ٠ ان راس الانسان ليست أفضل من قلبه ، ويده ليست أفضل مـــن قدمه ٠ واذا كان الرجل يحمل واجب القيادة والاعالة ، فانه ليس أفضل مـــن المراة التي يكون واجبها رعاية المنزل ،حتى اذا كان واجب الرجل اكثر صعوبة بل حتى اكثر اهمية ٠ ويؤكد الامام محمد عبده تلك النقطة باعتبار أنها تعد حيوية بالنسبة للفهم الصحيح لدورى كل من الزوج والزوجة ، ويضيف أن الآية القرآنية :

« ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم علـــــى بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ٠٠ » (٣٠)

لا تعنى أن كل رجل أفضل من كل امرأة أو العكس بالعكس ٠ وطبقا له ، فان لكل جنس بعض الميزات على الاخر بصفة عامة ، بالرغم من أن الرجـال

(٣٠) القـرآن ٤ : ٣٢ ٠

لديهم درجة فوق النساء . (٣١)

ولقد كان ثمة كثير من الجدل بالنسبة لتلك « الدرجـــة » وقد فسرها البعض أنها تتمثل في تفويض القيادة ، والاشراف والاعالة الـــذي يمنـح للرجال . ويقول البعض الاخر انها تتمثل في التسامح الذي يجب أن يعامل به الازواج زوجاتهن وثمة رأي ثالث يقول انها تتمثل في الهبة الطبيعية للرجل التي تمكنه من الحكم في الامور والسيطرة على المشاكل الخارجية . ولكـــن الاجماع قد اتفق أن تلك « الدرجة » تشمل مبدأ « الوصاية » أو « القوامة ».

وأن الامام عبده في اطار تفسيره للآية القرآنية السابقة ذكـــر انه ثمة أربعة عناصر للقوامة أو الوصاية ، وهي : الحماية ، والرقابة ، والرعايـــة والاعالة ، وقد اعتبر الدكتور عبد العاطى عنصر « الطاعـــة » ـ فوق الاربعة عناصر السابق ذكرها ـ انه اهم علامة للقوامة . ان الطاعة ، بالنسبة لـــه ، وطبقا للقرآن والحديث ، تتضمن ما يلي :

١ ـ «انها لا يجب أن تقابل غرباء من الجنس الاخر او تقبل هدايا منهم بدون اذنه. ولا يجب أن تقرض أو تتنازل عن أي من ممتلكاته بدون اذنه .

٢ ـ ان الزوج لديه الحق القانوني في الحد من حرية حركتها ومنعهـا من مغادرة منزلها بدون اذنه ، ويجب عليها ان تذعن لذلك الحق الا اذا كان ثمة ضرورة أو فائدة قانونية لأن تفعل عكس ذلك . ولكن الزوج يعد ملزمـا من الناحية الدينية ان يكون رحيما وأن يحد من ممارسته لحقه في تقييد حرية حركتها ، واذا نشأ صراع بين حقه هذا وحق أسرة زوجته في زياراتهم لها وزياراتها لهم، فان حقه يسود . ولكنه مما ينصح به من الناحية الدينية أن يكون مراعيا للشعور بشكل كاف يجعله يتنازل عن حقه ويتفادى النفور داخل أسرته أو بين أي فرد من أفراد أسرته او اقربائه الاقربين ، مثل اهل الزوجة .

٣ ـ ان الزوجة العنيدة ليس لديها حق قانوني للاعتراض على ممارسة الزوج لسلطته التاديبية ، وان القانون الاسلامـــي بصفة عامة ، الى جانب معظم النظم القانونية الاخرى يعترف بحق الزوج فـــي تأديب زوجته لعدم الطاعة .

(٣١) تفسير المنار ٥ ص ٦٨ والصفحة التي تليها

٤ ـ ان الزوجة لا تستطيع أن تعترض بصفة قانونية على حق الزوج في اتخاذ زوجة اخرى أو في ممارسة حقه في الطلاق ، فان عقـــد الزواج يقر بموافقتها الضمنية بالنسبة لتلك الحقوق · ولكنها اذا ما رغبت فـــي تقييد حريته في هذا الشان او اتخاذ حقوق مساوية فانها يخول لها ذلـــك بصفة شرعية · فهي تستطيع ان تشترط في عقد الزواج أنها هي ايضا سوف يكـون لها الحق في الطلاق ، أو انها سوف تحافظ على رابطة الزواج فقط طالمـا تكون هي الزوجة الوحيدة ، واذا اتخذ زوجة أخرى يكون لديها الحق فـــي المطالبة بالطلاق طبقا لعقد الزواج ·

٥ ـ واخيرا ، اذا أصر الزوج على السكن مع الاب أو في سكن جديد ، يجب على الزوجة أن توافق · » (٣٢)

(ج) الاستنتـــاج :

ان المشاكل التي تواجه الاسر المسلمة التي تعيش في الولايات المتحدة من الممكن معالجتها طبقا للتعليمـــات والمبادىء الاسلامية حالما نقبلهـــا باعتبرها ملزمة ، واذا كان الزوجان متمسكين بدينهما حقيقة لن تكون لديهما صعوبة في مواجهة مساوىء الحضارة الغربية وتفادي العوامل الاجتماعيـة الغير اسلامية والتي قد تتعارض مع الاسلام · وطبقا لرؤيتنا ، تتمثل الخطوط العريضة في :

١ ـ ان الهدف الاساسي من الزواج هو العيش بأسلوب يتسم بالورع وخدمة الهدف الاسلامي ·

٢ ـ ان دورى كل من الزوج والزوجة تتقرر طبقا لتكوينها البيولوجي ، ويؤكد الاسلام ذلك الاختلاف الطبيعي ويرجع بعض القواعد الاساسية المعينة الى التنشئة الاجتماعية :

(٣٢) عبد العاطي ، حمودة ، بنيان الاسرة في الاسلام ، منشورات الاميركان تروست ، ١٩٧٧ ، ص ١٧٢ ـ ١٧٣ · وان تلك الحقوق والالتزامات تم تعزيزها في كل من القـرآن والحديث ·

(أ) ان الاسرة تعد بمثابة اسلوب يؤدي الى بنيان المجتمع بطريقة متعقلة ، ويجب ان تقوم على اساس الزواج المشروع ·

(ب) ان قانون الخليقة هو الذي يقرر انه يجب ان يكون ثمة نظام في أي مجتمع ، وبالنسبة للحيوانات بصفة عامة ، والبشر بصفة خاصة ، يجب ان يكون ثمة قائد لكل قطيع من الحيوانات ، او سرب من الطيور او اي تجمع بشري ·

(ج) لقد وهبت الطبيعة الذكور خصائص معينة تؤهلهم الى تحمل مسئولية القيادة · وفي الاسلام ، يعد الرجل بمثابة رأس الاسرة ورأس اي تنظيم سياسي (أي الدولة) ·

(د) ثمة حقوق والتزامات اخلاقية وقانونية تترتب على الزواج واذا لم تكن مقبولة عن اقتناع ، لن يكون من الممكن استمرار العلاقات الاسرية السعيدة ، وتتمثل القيم الاخلاقية الرئيسية للزواج الاسلامي في الاتحاد والمشاركة مع وضع الهدف الاساسي للزواج دائما في الرؤية · ومع اعتناق القيم الاخلاقية ، تصبح مسألة « المساواة » بمثابة شيء لا اساس له لانها لن تثار من اصلها · فان الرجل والمراة يحصلان على معاملة متساوية من خالقهما ، وكلاهما يخضع لنفس القوانين القرآنية بالنسبة للمعاملات والسلوك ·

(هـ) نظرا لاختلاف تكوين ووظيفة كل منهما من الناحية البيولوجية والفسيولوجية ، يسند لكل جنس دور معين يقوم بـه في الاسرة · ويتوافق ذلك الدور ، بل وينبع من التكوين البيولوجي لكل منهما ·

وبعودتنا الى المشاكل الواقعية التي تواجهها الاسرة المسلمة في هذا المجتمع الغربي ، نستطيع القول ان الحل الاسلامي يمكن ان يكون كما يلي :

١ ـ الاعالـة :

ان الزوج هو الذي ينتظر منه اعالة الاسرة ، واذا لم يستطع ان يكسب ما يكفي لاعالتها ، او اذا كان دخله اقل من ان يمكنه من توفير مستوى مقبول للمعيشة ، فان كليهما يستطيع العمل من اجل الكسب بشرط قبول

الزوجة لذلك • ومـع ذلـك :

(أ) فان الزوج لديه الحق في انهاء عمـــل زوجتـه كلما رأى ذلـك ضروريـا •

(ب) انه لديه الحق في الاعتراض على اي وظيفة اذا شعر انها سـوف تعـرض زوجته لاي ضرر ، أو اغراء او مذلة •

(ج) ان الزوجة لديها الحق في التوقف عن العمل في أي وقت تريـد ذلـك •

(د) ان الزوج يستطيع أن يسمح للزوجة بالعمل بشرط أن يكون كسبها من اجل الاسرة ولا يعتبر كملكية شخصية لهـا •

٢ ـ ادارة المنزل :

عندما تكون الزوجة غير موظفة ، تصبح ادارة المنزل بمثابة شاغلهـا الاول ، ونعني بادارة المنزل تربية الاطفال وجميع الخدمات المنزلية المطلوبـة للحفاظ على سكن نظيف ومريح • ولقد قال النبي عليه السلام : « النظافـة من الايمان ») وان الامومة تعد ذات قيمة كبيرة في الاسلام بل هي اسمـى القيـم بعـد عبادة اللـه •

٣ ـ الزواج والمنازعات والطلاق :

(أ) الـزواج ، ان المسلمين يجب ان يتزوجوا طبقا للتقاليد والقواعد الاسلامية • وسوف يكون عليهم ان يسجلوا الزواج في الولاية التي تزوجـوا بها حتى يكون الزواج ذا صفة قانونية • وان ذلك الاجراء القانوني يخضـع عقد الزواج الى السلطان القضائي للقوانين الامريكية التي تتعارض فـي معظم الحالات مع الكثير من القواعد الاسلامية • ولكن مثل ذلك التناقض لا يحدث الا اذا كان ثمة نزاع فشل كل من الزوجين في حله طبقا للشريعة •

(ب) المنازعات : انه من المتوقع نشوء المنازعات في جميع العلاقـات الزوجية • وان الازواج الذين يلتزمون بالاسلام يجب ان يتعلموا كيـف يتصالحون او يتسامحون كل مع الاخر ، وتكون تعليمات دينهم هي المرشـد

ويكون النبـي مثلهم الاعلى ٠

ومع ذلك ، فانهم في حالة فشلهم في حل مشاكلهم ، سوف يضطرون الى اللجوء الى حكم للفصل في نزاعهما ٠ واذا رفض أي من الزوجين ذلـك الامر القرآني وتحدى شريكه الآخر ناشدا الحماية تحت رايةالقوانين الامريكية فانه يكون قد فشل في الحفاظ على التزامه الديني ٠ ويعني بالتحكيم القرآني ان يكون ملزما لكل من الزوجين ، وهو في الحقيقة يستطيع ان يخلص الاسرة المسلمة من معظم مشاكلها ٠

(ج) الطلاق : اذا رفض واحد من الزوجين التحكيم ، سوف يكـون من المحتم ان يتـم الطلاق بأسلوب غير اسلامي ، تاركا جرحا عميقا لكـل منهما ٠ وان التحكيم قد ينتهي الى الطلاق ، ولكنه في تلك الحالة سوف يكون أقل ضررا لان كليهما سوف يشعر برضاء اكثر عندما تكون الشريعة قد تـم تطبيقها بأسلوب عادل ٠ وانه لمـن المؤسف ان نجد الكثير من النساء المسلمات الناشز اللاتي تعتقدن ان القانون الامريكي يخدم مصالحهن بشكل افضل مـن القانون الاسلامي ، وليس ذلك خطأ فقط ، ولكن نتائج رفع الدعـوى امـام القضاء تترك شعورا بالمرارة اكثر مما يجب ٠

٤ ـ البيئـة والاطفـال :

لا يستطيع احد ان ينكر تاثير البيئة على البالغين والاطفال ، وحتـى الوقت الحاضر نستطيع ان نقول عن ثقـة ان مسلمي امريكا ليس من الممكن أن يكونوا أي مجتمع مادي أو معنوي بالمقارنة مع اليهود أو الصينيين ، واذا سلمنا جدلا انه ثمة بعض الجماعات في انحاء متفرقة وبعض الارشاد الروحي من مصادر عديدة ، فانه ليس ثمة مجتمع يستطيع الاستجابة لكثير مـن الحاجات الاساسية ٠ ان الاسرة يجب ان تعيش في « مجتمع » ، ولو لم يتـم تكوين مجتمع اسلامي ، لـن تجد الاسرة الاسلامية بديلا سوى الاندماج فـي المجتمع الغير اسلامي ٠ وذلك الخطر يعد هائلا حتى انه يكون الجزء الاعظم من مشاكل الاسرة في الولايات المتحدة ، ان كلا من البالغين والاطفال يتاثرون بالقيم والتقاليد الامريكية ، وبالسلوك والاخلاقيات الامريكية ٠ وليس ثمـة

مهرب من ذلك « الاستيعاب » الاجتماعي الا بواسطة تقوية الروابط الاسرية والتمسك المخلص بالتعليمات الاسلامية ·· ان الزوج يجب ان يعيش هنـــا بالتمسك الحازم بأساليب الحياة الاسلامية ويطلب نفس الشيء من زوجته · تلك هي الادوار الجنسية في الاسلام والمشاكل الرئيسية التي تواجه الاســر في الولايات المتحدة ، بل في الحقيقة في جميع الدول الغير مسلمة · ان الحلول السابق ذكرها تعتمد كلية على ايمان الزوجين ورغبتهما المخلصة في العيش طبقا لدينهما · وان الله طبقا للقرآن قد جعل الرجال مسئولين عـــن زوجاتهم ، وامرهم باعالتهم وحمايتهم وامر النساء بطاعة ازواجهن والحفاظ على اسرارهن (٣٣) · وبالنسبة لهؤلاء الازواج الذين يدعون الحق فـــي تحريف معاني النصوص القرانية حتى تتلاءم مع رغباتهم الشخصية ، وهؤلاء الذين يحاولون أن يخضعوا الاسلام الى قوانين غير اسلامية ، فهم مرضى في قلوبهم وآثمون · ومن المرجح أن مثل هؤلاء الاشخاص لن يودوا قــراءة هذه المقالة ، ولكننا ندعوا الله ان يرشدهم للطريق المستقيم ·

« قل هذه سبيلي أدعوا الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحــان اللـــه وما أنا من المشركين » (٣٤) ·

---

(٣٣) القــرآن ٤ : ٣٤ ، ٣٥ ·

(٣٤) القــرآن ١٢ : ١٠٨ ·